المصطلح القرآني
وعلاقته بالفقه
مصطلح الفقه نموذجا

إعداد

د. امحمد العمراوي

أستاذ بجامعة المولى إسماعيل – مكناس

المغرب

المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أبدع الأنام، وشرع الأحكام، وأسبغ مزيد الإنعام على المتفقهين في الحلال والحرام، فأورثهم من معارفه ما جلّوا به عن القلوب غياهب الظلام، وكشفوا به عن أبصار البصائر سدف الغمام، وصَّيرهم بذلك قدوة الأمم، ومصابيح يستهدى بها في الظُّلَم. والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفاه لوحيه، واجتباه لنبوءته، وابتعثه برسالته إلى جميع خلقه، وأتم به سالف رسله، وأكمل به سابق شرائعه، محمد نبيه ورسوله، وحبيبه وخليله، من جعل الله شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وأنواره باقية كالدرر اللوامع، وعلى آله وصحابته الكرام، أتم صلاة وأبقاها، وأفضلها وأزكاها، وعلى التابعين لهم بإحسان، ما اختلف الأزمان، وتعاقب الملوان.

وبعد: فإن التفقه في الدين من أهم الواجبات، وأعظم القربات، أمر الله تعالى به في كتابه، وحض عليه النبي صلى الله عليه وسلم في سنته، قال تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[1] وقال {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[2] وقال {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ}[3] وقال النبي صلى الله عليه وسلم "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين[4]" وقال "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا[5]" وحيث إن الفقه معرفة الحلال والحرام، والجائز والممنوع والواجب والمندوب، وحيث إنه لا سبيل إلى عبادة الله إلا به وعن

---

[1] – التوبة: 122

[2] – النحل: 43

[3] – النساء: 83

[4] – رواه البخاري كتاب باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ومسلم باب النهي عن المسألة

[5] –رواه البخاري باب {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه} و مسلم باب من فضائل يوسف عليه السلام

طريقه، فقد عكف العلماء على استنباط أحكامه، وبيان نظامه، حتى يُعبد اللهُ على هدى وبصيرة، معتمدهم في ذلك ورأس أدلتهم، وأسمى حججهم القرآنُ الكريم، إليه يرجعون، وعنه يصدرون، ومنه يستنبطون، وبه يسترشدون، ولا يقف الأمر بالنسبة لهم عند الحجاج والاستدلال، والبيان والاستشهاد، بل إنهم حريصون على التعبير بمصطلحاته، واستعمال ألفاظه واقتباس مفرداته، ولاشك أن كل من نظر في الفقه نظرا عميقا، وأدرك حقيقته وغايته إدراكا دقيقا، أمكنه أن يقول: إذا كانت أحكام الفقه ربانية في مصدرها، فإن لغته قرآنية في معظمها، ولا غرو في ذلك ولا عجب، فإن نظر الفقيه يقع أول ما يقع على كتاب الله تعالى، ثم منه إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا البحث إنما يتغيى تأكيد هذه الحقيقة الجلية من خلال ذكر عشرات الألفاظ القرآنية التي استعملها الفقهاء باعتبارها مصطلحات فقهية، ولا يهدف إلى استقراء تلك الألفاظ والمصطلحات، فإن دون ذلك عقبات وعقبات، فأقول وبالله التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل:

لقد قسمت هذا العرض بعد المقدمة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: المصطلح القرآني في الكتب الفقهية.

المبحث الثاني: المصطلح القرآني في الأبواب الفقهية.

المبحث الثالث: تطور المصطلح القرآني عند الفقهاء: مصطلح الفقه أنموذجا.

خاتمة.

المبحث الأول: المصطلح القرآني في الكتب الفقهية

من المعلوم أن الفقهاء قسموا مؤلفاتهم تقسيمات متعددة، أشهرها الكتب والأبواب..

والحقيقة التي لا تخطئها عين الباحث البصير، ولا تغفلها حصافة الناقد الخبير، هي أن أسماء تلك الكتب وعناوينها لا تخرج عن الألفاظ والمصطلحات القرآنية والحديثية إلا فيما ندر، والنادر لا حكم له، وإنما الحكم للغالب، وبما أن موضوعنا هو المصطلح القرآني وعلاقته بالفقه فإننا سنقتصر على بيان الجزء المرتبط منها من حيث اللفظ والتسمية باللفظ القرآني، مع العلم أن الفقهاء لم يتفقوا في تقسيم مؤلفاتهم على ذكر كتب معينة لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها، فقد وسع بعضهم وضيق آخرون وتوسط غيرهم، وما يذكره هذا الفقيه كتابا قد يجعله غيره بابا، والعكس صحيح، ولذلك فقد جمعت ما بدا لي أنه محل اتفاق أو شبهه، ثم نظرت في علاقته بالقرآن الكريم من حيث اللفظ والتسمية، فلنذكر هذه الكتب المسماة بالألفاظ القرآنية مشفوعة بما يؤكد ذلك من الآيات الكريمة مع الاقتصار على آية واحدة في كل لفظ:

كتاب الطهارة قال تعالى {لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ }[1]

كتاب الصلاة قال تعالى {الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}[2]

كتاب الزكاة{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}[3]

كتاب الصوم قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[4]

كتاب الاعتكاف قال تعالى {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}[5]

---

[1] – التوبة: 108

[2] – البقرة: 1 – 3

[3] – البقرة: 43

[4] – البقرة: 183

[5] – البقرة: 187

كتاب الحج قال تعالى " {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ[1]}

كتاب الجهاد قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ[2]}

كتاب الفيء قال تعالى " {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ}[3]

كتاب الغنائم قال تعالى {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[4]

كتاب الأيمان قال تعالى {وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[5] {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}[6]

---

[1] – البقرة : 196، 197

[2] – الممتحنة: 1

[3] – الحشر: 6، 7

[4] – الأنفال: 69

[5] – البقرة: 224

[6] – المائدة: 89

كتاب النذور قال تعالى {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ}[1] {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}[2]

كتاب الصيد {يَا أَيُّهَا اَلذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اَللهُ بِشَيْءٍ مِّنَ اَلصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ}[3] {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا}[4]

كتاب النكاح قال تعالى {وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ}[5] {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}[6]

كتاب الصداق قال تعالى {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}[7]

كتاب النشوز قال تعالى {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا}[8]

كتاب الطلاق قال تعالى {الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}[9]

كتاب الإيلاء قال تعالى {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[10]

كتاب الظهار قال تعالى "{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}[11]

---

[1] – البقرة: 270
[2] – الإنسان: 7
[3] – المائدة الآية 3
[4] – المائدة الآية 96
[5] – البقرة: 235
[6] – النساء: 6
[7] – النساء: 4
[8] – النساء: 128
[9] – البقرة: 229
[10] – البقرة: 226
[11] – المجادلة: 2، 3

كتاب العدة قال تعالى "{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ}[1] {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ}[2]

كتاب الرضاع قال تعالى "{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ}[3] {فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}[4]

كتاب النفقات قال تعالى {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}[5] {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}[6]

كتاب البيع قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[7]

كتاب الربا قال تعالى {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا}[8] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[9]

كتاب القرض قال تعالى {إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ}[10]

كتاب الرهن قال تعالى {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ}[11]

---

[1] – الطلاق: 1

[2] – الطلاق: 4

[3] – البقرة: 233

[4] – الطلاق: 6

[5] – الطلاق: 6

[6] – الطلاق: 7

[7] – الجمعة: 9

[8] – البقرة: 275

[9] – آل عمران: 130

[10] – الحديد: 18

[11] – البقرة: 283

كتاب الصلح قال تعالى " {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ}[1]

كتاب الزعامة قال تعالى {وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ}[2]

كتاب الشركة قال تعالى " {فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ}[3]

كتاب الإجارة قال تعالى {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ}[4]

كتاب التعدي قال تعالى {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[5]

كتاب الغصب: {وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}[6]

كتاب القسمة قال تعالى {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ}[7]

كتاب اللقطة: {يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ}[8] {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ}[9]

كتاب الهبة قال تعالى {فلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ}[10]

كتاب الشهادات قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ}[11]

كتاب الجراح قال تعالى {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[12]

---

[1] – النساء: 128

[2] – يوسف: 72

[3] – النساء: 12

[4] – القصص: 27

[5] – البقرة: 194

[6] – الكهف الآية 78

[7] – النساء 8

[8] – يوسف الآية 10

[9] – القصص الآية 7

[10] – مريم: 49

[11] – البقرة: 140

[12] – المائدة: 45

كتاب الديات قال تعالى " {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}[1]

كتاب الكفارات قال تعالى {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ}[2]

كتاب الكتابة قال تعالى {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}[3]

كتاب الوصايا قال تعالى {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ}[4]

كتاب المواريث قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ}[5]

كتاب القطع {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ}[6]

كتاب المحاربين والمرتدين {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ}[7] {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}[8]

كتاب الرجم والزنى {وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}[9]

---

[1] – النساء: 92

[2] – المائدة: 89

[3] – النور: 33

[4] – النساء: 11

[5] – النساء: 11

[6] – المائدة: 38

[7] – [المائدة: 33]

[8] – [البقرة: 217]

[9] – الإسراء 32

فقد بلغت هذه الكتب أربعة وأربعين كتابا سميت كلها بمصطلحات قرآنية، وهي إشارة دالة جدا، على أن الفقهاء كانوا متمسكين بلغة القرآن تسمية واستعمالا، وهو أمر من باب تحصيل الحاصل، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك هم فمن يفعله يا ترى؟

المبحث الثاني: المصطلح القرآني في الأبواب الفقهية:

الغرض من هذا المبحث تأكيد ما تقدم في المبحث السابق من كثرة الاستعمال الفقهي للفظ القرآني، إلى الحد الذي يتعذر معه على الباحث إحصاء ذلك الاستعمال وحصره، ولست مدعيا ذلك ولا طالبه، فإني وإن طلبته لا أبلغه، ولكن حسبي أن أؤكد ما قلت قبل: إن اللفظ القرآني هو الأصل في استعمال الفقهاء، وإنهم لا يعدلون عنه إلا نادرا لغاية اقتضت ذلك عندهم، فإذا تعذر استعماله انتقلوا إلى اللفظ النبوي.. وتلك لعمري حقيقة ناصعة، يعرفها الفقيه المنتهي، ويدركها الطالب المبتدي، وبيان ذلك على سبيل التمثيل لا على سبيل التتبع والاستقراء فيما يلي:

كتاب الطهارة: غسل الوجه –مسح الرأس –غسل الرجلين {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ}[1]

–الملامسة –التيمم –الصعيد – المسح على الوجه واليدين {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ}[2]

–الحيض -الطهر {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ}[3] -الجنب {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا[4]}

كتاب الصلاة: وقوت الصلاة {إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}[5] –صلاة الظهر– صلاة الفجر- صلاة العشاء {مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ

---

[1] – [المائدة: 6]

[2] – النساء: 43

[3] – البقرة: 222

[4] – المائدة: 6

[5] – النساء: 103

صَلَاةِ الْعِشَاءِ}[1] -السجود –الركوع {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[2] –التسبيح {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}[3] - القنوت – القيام {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}[4] – الخشوع {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}[5] – الأذان {وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ}[6] –الإقامة {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ}[7] –الإسرار {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ}[8] – الجهر {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[9] –الصلاة على النبي {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[10] – ستر العورة {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ}[11] – التكبير {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ}[12] – الشفع – الوتر { وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}[13] – الإمامة {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}[14] –القضاء {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ}[15] –صلاة الجمعة {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}[16] – قصر الصلاة

---

[1] – النور: 58

[2] – الحج: 77

[3] – الأعلى: 1

[4] – البقرة: 238

[5] – المؤمنون: 1، 2

[6] – التوبة: 3

[7] – الإسراء: 78

[8] – الملك: 13

[9] – الإسراء 110

[10] – الأحزاب: 56

[11] – النور: 58

[12] – المدثر: 3

[13] – الفجر: 3

[14] – البقرة: 124

[15] – النساء: 103

[16] – الجمعة: 9

– صلاة الخوف {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا}[1]

– النافلة {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ}[2]

كتاب الزكاة: الخلطة {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ}[3] –الفقير – المسكين - العاملون عليها – المؤلفة قلوبهم – الرقاب –الغارمون – في سبيل الله – ابن السبيل {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[4]

كتاب الصوم: شهر رمضان {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}[5] – شهود الشهر {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}[6] – الاعتكاف – المسجد {وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ}[7] – طلوع الفجر {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ}[8] –إتمام الصيام {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}[9] – القيام {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (1) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا}[10] –التهجد {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ}[11] – ليلة القدر {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}[12]

كتاب الحج: -المناسك {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ}[13] – أشهر الحج {الْحَجُّ أَشْهُرٌ

---

[1] – النساء: 101

[2] – الإسراء: 79

[3] – ص: 24

[4] – التوبة: 60

[5] – البقرة: 185

[6] – البقرة: 185

[7] – البقرة: 187

[8] – البقرة: 187

[9] – البقرة: 187

[10] – المزمل: 1، 2

[11] – الإسراء: 79

[12] – القدر: 1

[13] – البقرة: 200

مَعْلُومَاتٌ}[1] – العمرة {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ }[2] – المتعة {فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ}[3] –البيت – الطواف {وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}[4] –الحلق والتقصير {مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ}[5] – الفدية {فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ}[6] –صيد المحرم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ}[7] –جزاء الصيد {فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ}[8] – الإحصار –الهدي {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}[9] –التقليد {وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ}[10] – الكفارة {أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ}[11] –التحكيم { يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ}[12] –الإفاضة – عرفة – المشعر الحرام {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}[13] –مقام إبراهيم {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى}[14] –التعجيل –التأخير {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى}[15] –الحج الأكبر{يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ}[16] –الصفا والمروة {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}[17]

---

[1] – البقرة: 197
[2] – البقرة: 196
[3] – البقرة: 196
[4] – الحج: 29
[5] – الفتح: 27
[6] – البقرة: 196
[7] – المائدة: 95
[8] – المائدة: 95
[9] – البقرة: 196
[10] – المائدة: 2
[11] – المائدة: 95
[12] – المائدة: 95
[13] – البقرة: 198
[14] – البقرة: 125
[15] – البقرة: 203
[16] – التوبة: 3
[17] – البقرة: 158

كتاب الجهاد: الغلول { وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[1] – الخمس {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ}[2] – النفل {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}[3] – الغنيمة {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ}[4] –الفيء {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى}[5] –الأسرى {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ}[6] – المفاداة {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا}[7] –الرباط {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}[8] –الجزية {حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[9]

كتاب الأيمان والنذور: يمين اللغو - اليمين المنعقدة – كفارة اليمين – الإطعام –الكسوة –الرقبة -الصيام {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ}[10]

كتاب الأضاحي: – الأيام المعلومات {وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ}[11] –الأيام المعدودات {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ}[12] – الذبح {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}[13]

كتاب الصيد: الجوارح –الكلب المعلم –التسمية عند الإرسال {وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ}[1]

---

[1] – آل عمران: 161

[2] – الأنفال: 41

[3] – الأنفال: 1

[4] – الأنفال: 41

[5] – الحشر: 7

[6] – الأنفال: 67

[7] – محمد: 4

[8] – الأنفال: 60

[9] – التوبة: 29

[10] – المائدة: 89

[11] – الحج: 28

[12] – البقرة: 203

[13] – الصافات: 107

كتاب الذبائح: تحريم الميتة {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ}[2] – الذبائح – الذكاة {إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ}[3]

كتاب النكاح: عقد النكاح {وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ }[4] – التعريض – الخطبة {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ}[5] – العضل {فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ}[6] – المواعدة {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا}[7] – المتعة {وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ}[8] – الثيب –البكر {ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا}[9] –الحصور {وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ}[10] –المسيس {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ}[11] –الدخول {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ}[12] – الصداق {وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً}[13] –الإحصان {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ}[14] –المعاشرة بالمعروف {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}[15] – المحرمات من النساء –الجمع بين الأختين – نكاح الربائب {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ....}[16] – النشوز {وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ}[1]

---

[1] – المائدة: 4
[2] – المائدة: 3
[3] – المائدة: 3
[4] – البقرة: 235
[5] – البقرة: 235
[6] – البقرة: 232
[7] – البقرة: 235
[8] – البقرة: 236
[9] – التحريم: 5
[10] – آل عمران: 39
[11] – البقرة: 237
[12] – النساء: 23
[13] – النساء: 4
[14] – النساء: 25
[15] – النساء: 19
[16] – النساء: 23

كتاب الطلاق – الحكمان {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا}[2] – الطلاق قبل المسيس {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ}[3] –النفقة {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}[4] –السكنى {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ}[5] – الرجعة {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا}[6]

كتاب الإيلاء: فيئة المولي {فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}[7]

كتاب العدة: -العدة بالأقراء {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ}[8] –عدة المتوفى عنها زوجها {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا}[9] –عدة المطلقة {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}[10] –عدة الحامل {وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}[11]

– **كتاب الرضاع**: الرضاع في الحولين {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ}[12] – المحرمات من الرضاع {وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ }[13]

كتاب البيع: التجارة - التراضي – الأموال – أكل المال بالباطل {يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ}[14] –السفيه {وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا}[15] –الرشد {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}[1]

---

[1] – النساء: 34
[2] – النساء: 35
[3] – البقرة 237
[4] – الطلاق: 7
[5] – الطلاق: 6
[6] – البقرة: 230
[7] – البقرة: 226
[8] – البقرة: 228
[9] – البقرة: 234
[10] – البقرة: 231
[11] – الطلاق: 6
[12] – البقرة: 233
[13] – النساء: 23
[14] – النساء: 29
[15] – النساء: 5

كتاب القرض: القرض الحسن {وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}[2] - كتابة الدين – تحديد الأجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ}[3] – الإشهاد على الدين {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ}[4] – إنظار المعسر {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ}[5]

كتاب الحجر : إيناس الرشد {فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}[6] –السفيه – الضعيف {فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا}[7] –اليتيم {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ}[8] – الولي {فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ}[9]

كتاب القضاء: الحكم {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}[10] –الشهادة {وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ}[11] – الخصمان {خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ}[12] –العدالة {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ}[13] – الرضى {مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ}[14] – البينة {حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}[15]

كتاب الجراح: القصاص {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[16] –القتل الخطأ – كفارة القتل {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ}[1] –القتل العمد {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا

---

[1] – النساء: 6

[2] – المزمل: 20

[3] – البقرة: 282

[4] – البقرة: 282

[5] – البقرة: 280

[6] – النساء: 6

[7] – البقرة: 282

[8] – النساء: 6

[9] – البقرة: 282

[10] – المائدة: 49

[11] – البقرة: 283

[12] – سورة ص: 22

[13] – النساء: 58

[14] – البقرة: 282

[15] – البينة: 1

[16] – المائدة: 45

فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ}[2] – حد الردة {وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ}[3] – حد السحر {وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}[4] –الفئة الباغية {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي}[5]

كتاب المواريث: الكلالة {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً}[6] –النصف {وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ}[7] –الربع { فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ}[8] –الثلث {فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ}[9] – الثلثان {فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ}[10] –الثمن {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ}[11] - السدس { فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ}[12]

كتاب الرجم والزنى: الجلد {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}[13] – الإحصان {فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ}[14] – الإكراه { وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}[15] –الشهادة {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}[16]

---

[1] – النساء: 92

[2] – النساء: 93

[3] – البقرة: 217

[4] – البقرة: 102

[5] – الحجرات: 9

[6] – النساء: 12

[7] – النساء: 11

[8] – النساء 12

[9] – النساء: 12

[10] – النساء: 11

[11] – النساء: 12

[12] – النساء: 11

[13] – النور: 2

[14] – النساء: 25

[15] – النور: 33

[16] – النور: 2

كتاب العتق: العبد –المملوك –{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا[1]} – المكاتب {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}[2] – العبد المشترك { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا}[3] – الأمة {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}[4]

كتاب الجامع: السلام {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً}[5] –الاستئذان {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}[6] –التناجي {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ}[7] –الغيبة {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}[8] –غض البصر {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}[9] –الرؤيا {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}[10] –شهادة الزور {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}[11]

---

[1] – النحل: 75
[2] – النور: 33
[3] – الزمر: 29
[4] – النور: 32
[5] – النور: 61
[6] – النور: 58
[7] – المجادلة: 9
[8] – الحجرات: 12
[9] – النور: 30
[10] – يوسف: 43
[11] – الفرقان: 72

المبحث الثالث: تطور المصطلح القرآني عند الفقهاء: مصطلح الفقه أنموذجا

الفقه لغة: مصدر من فقه بالكسر وفقه بالضم: الفهم، ومداره في العربية على الفهم والإدراك.

قال الجوهري: الفِقْهُ: الفهمُ. قال أعرابيٌّ لعيسى بن عمر: " شَهِدْتَ عليك بالفِقْهِ ". تقول منه: فَقِهَ الرجلُ، بالكسر. وفلان لا يفقه ولا ينقه. وأفقهتك الشئ. ثم خص به عِلْمُ الشريعة، والعالِمُ به فَقيهٌ، وقد فَقُهَ بالضم فَقاهَةً، وفَقَّهَهُ الله. وتَفَقَّهَ، إذا تعاطى ذلك. وفاقَهْتُهُ، إذا باحثتَه في العلم[1].

وقال ابن فارس: (فقه) الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. يقولون: لا يفقه ولا ينقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. وأفقهتك الشيء، إذا بينته لك[2].

وقال عياض: (ف ق ه) قَوْله "اللَّهُمَّ فقهه فِي الدّين"[3] وَ "إِذا فقهوا"[4] بِضَم الْقَاف "وَمن يرد الله بِهِ خيرا يفقهه فِي الدّين"[5] الْفِقْه الْفَهم فِي كل شَيْء يُقَال مِنْهُ فقه بِالْكَسْرِ يفقه فقها بِفَتْح الْقَاف، وَقَالُوا فقها أَيْضا بسكونها، وأفقهته أَنا فهمته وَأما الْفِقْه فِي الشَّرْع فَقَالَ صَاحب الْعين والهروي وَغَيرهمَا فِيهِ فقه بِالضَّمِّ وَقَالَ ابْن دُرَيْد فِيهِ بِالْكَسْرِ كَالْأولِ، قَالَ: وَقَالُوا فقه بِالضَّمِّ فِيهِ أَيْضا وَقَوله فِي الْكلاب إِذا كَانَ يفقه أَي يفهم التَّعْلِيم وَالْأَمر والزجر[6].

---

[1] – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (6/ 2243)

[2] – مقاييس اللغة (4/ 442)

[3] – البخاري كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء

[4] – البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلا"

[5] – البخاري كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين

[6] – مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/ 162)

الفقه في الاستعمال القرآني والنبوي:

وردت مادة "فقه" في القرآن الكريم بست صيغ في عشرين موضعا: "يفقهون" في ثلاثة عشر موضعا، و"يفقهوه" في ثلاثة مواضع، و"تفقهون" في موضع واحد، و"نفقه" في موضع واحد و"يفقهوا" في موضع واحد، و"ليتفقهوا" في موضع واحد، وقد وردت هذه المادة "فقه" في استعمال القرآن الكريم والحديث الشريف: بمعان متعددة:

أولا: الفهم

ومنه قوله تعالى ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾[1] قال القرطبي: أي ما نفهم[2]، وقوله سبحانه ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3] اى لا تفهمون[4].

ثانيا: التوصل بعلم شاهد إلى علم غائب: قال الراغب: الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم. قال تعالى: {فَمَالِ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً}[5] وقال {وَلَكِنَّ اَلْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ}[6] إلى غير ذلك من الآيات[7].

ثالثا: الفقه: العلم بالدين كله رواية ودراية: ومن هذا المعنى قوله تعالى {فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ}[8]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس **"اللهم فقهه في الدين"**[9] وقوله صلى الله عليه وسلم "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين"[10]

---

[1] – هود 91

[2] – تفسير القرطبي (9/ 91)

[3] – الإسراء 44

[4] – روح البيان (5/ 162)

[5] – النساء 77

[6] – المنافقون 7

[7] – المفردات في غريب القرآن (ص: 642)

[8] – التوبة: 122

[9] – تقدم تخريجه (ص : 17 – هـ : 200)

[10] – تقدم تخريجه (ص : 17 – هـ : 202)

والدين هو الإيمان والإسلام والإحسان كما في حديث جبريل المشهور، فعن عمر بن الخطاب قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1]

قال النووي "فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها دينا"[2]

إلا أننا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم عطف الفقه على الإيمان في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية"[3] والقاعدة أن العطف يقتضي المغايرة.

وعن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»[4]

قال المناوي أي غير مستنبط علم الأحكام من طريق الاستدلال، بل يحمل الرواية ويحكى الحكاية

---

[1] – رواه مسلم باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة

[2] – شرح النووي على مسلم (1/ 160)

[3] – رواه مسلم باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه

[4] – سنن الترمذي باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع

فقط، أو المراد أنه لا يعمل بمقتضى ما علمه من الفقه أو أنه لا يفهم أسرار الأحكام فيعبد الله على غير بصيرة[1]

واستمر الأمر على ذلك في زمن الصحابة بوجه عام، فإننا عند التدقيق نلاحظ أن كلمة الفقه، بدأت تستعمل مع القرآن والسنن، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس بالجابية فقال: "من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فل يأتني؛ فإن الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما"[2]

وروى قتادة، قال: كتب عمر إلى أبي موسى: «أما بعد، فإني كنت آمركم بما أمركم به القرآن، وأنهاكم عما نهاكم عنه محمد صلى الله عليه وسلم، وآمركم باتباع الفقه والسنة، والتفهم في العربية، فإذا رأى أحدكم رؤيا فقصها على أخيه، فليقل: خير لنا وشر لأعدائنا»[3]

وفي جامع بيان العلم وفضله عن علي الأزدي قال: سألت ابن عباس عن الجهاد فقال: «ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد؟ تبني مسجدا تعلم فيه القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم والفقه في الدين»[4] وفي مسند أحمد عن الزهري، قال: أخبرني رجل من الأنصار، من أهل الفقه..."[5] وهذا الاستعمال يشير إلى أن الفقه بدأ يكتسب بعض مميزات ومقومات الشخصية المستقلة، وهو ما نلاحظه في زمن السلف بصورة أكثر وضوحا، فقد ورد عن الزهري أنه قال: «ما عبد الله بمثل الفقه[6]» وفي أخبار مكة للفاكهاني عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول "لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم صار الفقه في البلدان كلها إلى الموالي، فكان فقيه مكة عطاء بن أبي رباح، وفقيه

---

[1] – التيسير بشرح الجامع الصغير (2/ 29)

[2] – السنن الكبرى للبيهقي باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في علم الفرائض

[3] – جامع معمر بن راشد (11/ 213)

[4] – جامع بيان العلم وفضله (1/ 263)

[5] – مسند أحمد ط الرسالة (1/ 201)

[6] – جامع معمر بن راشد (11/ 256)

أهل اليمن طاوس، وفقيه أهل الكوفة إبراهيم، وفقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب، وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير، وفقيه أهل البصرة الحسن، وفقيه أهل الشام مكحول، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني[1]" وهكذا وجدنا أن شخصية الفقه قد بدأت تتميز تميزا واضحا قويا في زمن الصحابة رضي الله عنهم، إلا أن هذا التميز بلغ أشده واستوى على سوقه مع مرحلة فقهاء الأمصار.

الفقه عند الفقهاء والأصوليين:

بعدما كان الفقه في الصدر الأول يطلق على كل ما يفهم من الكتاب والسنة، أصبح بعد تمايز العلوم في هذه المرحلة يطلق على الأحكام الشرعية العملية على خلاف بين الفقهاء: هل هو خاص بالقطعيات فقط أو بالظنيات وحدها أو يشملهما معا؟ وتعريفات الفقهاء والأصوليين للفقه -باعتباره عنوانا على علم معين- وإن كانت مختلفة في بعض الجوانب كما ذكرنا، إلا أنها تلتقي جميعها –كما أشار إلى ذلك القرافي- عند تخصيص اسم الفقه بالعلوم النظرية، وإخراج شعائر الإسلام من لفظ الفقه وحده[2].

وبالجملة فإن الفقهاء جعلوا الفقه فهم النصوص ودرايتها، لا حملها وروايتها، وخصصوه بالفروع والمسائل، والجزئيات والنوازل، واختلفت عندهم مجالس القرآن وكتب الحديث عن مجالس الفقه وكتب المسائل، وقد اشتهر عن مالك رحمه الله أنه كان يسأل من يقصدونه عن رغبتهم في الحديث أم في المسائل، قال مطرف: وكان مالك إذا أتاه الناس خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أم المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم فأتاهم وإن قالوا الحديث قال لهم اجلسوا ودخل مغتسله فاغتسل وتطيب ولبس ثياباً جدداً ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه طويلة وتلقى له المنصة فيخرج إليهم وقد لبس وتطيب وعليه الخشوع ويوضع عود فلا يزال يبخر حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. وهذا التفريق عرف انتقادات من بعض الفقهاء كأبي حامد الغزالي الذي يقول: في الألفاظ التي صرفت

---

[1] – أخبار مكة للفاكهي (2/ 343)

[2] – شرح تنقيح الفصول ص: 17

[3] – ترتيب المدارك وتقريب المسالك 2/ 14

عن أصلها الذي كانت عليه عند السلف الصالح: "اللفظ الأول الفقه، فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل، إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتوى، والوقوف على دقائق علمها واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقاً وأكثر اشتغالاً بها يقال: هو الأفقه، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول يطلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا، وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة، واستيلاء الخوف على القلب[1]"

وأما الأصوليون فقد تعددت تعاريفهم للفقه، واختلفت آراؤهم في ذلك، لكنها لا تخرج في المجمل عن كون الفقه ثمرة اجتهاد معين يبذله الفقيه للوصول إلى الحق، وبلوغ الصواب، ومن أشهر تلك التعاريف قول ابن السبكي "الفقه: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية[2] وعليه أكثر الفقهاء والأصوليين، وقريب منه قول القرافي "إنه العلم بالأحكام الشرعية العملية بالاستدلال[3]. وقول ابن الحاجب بقوله "العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية بالاستدلال[4]"

وهكذا فإن الفقه بعد الصدر الأول، أصبح عنوانا على علم معين يمثل جزءا من الدين وليس الدين كله، في تكامل مع العلوم الإسلامية الأخرى، وهذا ليس تنقيصا من الفقه ولا طعنا فيه، وإنما هو بيان لمراحله التاريخية، وصيرورته الحضارية، مع بقاء معناه الأول مذكورا متداولا، فقد نقل في عمدة القاري قال "وفي (الجامع) لأبي عبد الله: فقه الرجل تفقه فقها فهو فقيه... والفقه علم الدين[5]" ومثله ما نقل عن أبي حنيفة الفقه معرفة النفس ما لها وما عليها، قال ابن نجيم: وعرفه الإمام الأعظم بأنه معرفة النفس ما لها وما عليها لكنه يتناول الاعتقاديات كوجوب الإيمان والوجدانيات أي الأخلاق الباطنة والملكات النفسانية والعمليات كالصلاة والصوم والبيع[6]"

---

[1] – إحياء علوم الدين (1/ 32)

[2] – الإبهاج في شرح المنهاج (1/ 28)

[3] – شرح تنقيح الفصول (ص: 17)

[4] – بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب (1/ 18)

[5] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري (2/ 50)

[6] – البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (1/ 6)

وعلى كل حال فإن الذي نقوله ونعتقده هو ما قاله القرافي المالكي رحمه الله، ونصه: أما بعد فإن الفقه عماد الحق، ونظام الخلق، ووسيلة السعادة الأبدية، ولباب الرسالة المحمدية، من تحلى بلباسه فقد ساد، ومن بالغ في ضبط معالمه فقد شاد،[1] وما قاله ابن نجيم الحنفي رحمه الله: إن الفقه أشرف العلوم قدرا، وأعظمها أجرا، وأتمها عائدة، وأعمها فائدة، وأعلاها مرتبة، وأسناها منقبة، يملأ العيون نورا، والقلوب سرورا، والصدور انشراحا، ويفيد الأمور اتساعا وانفتاحا، هذا لأن ما بالخاص والعام من الاستقرار على سنن النظام والاستمرار على وتيرة الاجتماع والالتئام، إنما هو بمعرفة الحلال من الحرام، والتمييز بين الجائز والفاسد في وجوه الأحكام[2]، وما قاله السيوطي الشافعي رحمه الله: أما بعد: فعلم الفقه بحوره زاخرة، ورياضه ناضرة، ونجومه زاهرة، وأصوله ثابتة مقررة، وفروعه نابتة محررة، لا يفنى بكثرة الإنفاق كنزه، ولا يبلى على طول الزمان عزه، أهله قِوام الدين وقوّامه، وبهم ائتلافه وانتظامه، هم ورثة الأنبياء، وبهم يستضاء في الدهماء، ويستغاث في الشدة والرخاء، ويهتدى كنجوم السماء، وإليهم المفزع في الآخرة والدنيا، والمرجع في التدريس والفتيا، ولهم المقام المرتفع على الزهرة العليا، وهم الملوك، لا بل الملوك تحت أقدامهم، وفي تصاريف أقوالهم وأقلامهم، وهم الذين إذا التحمت الحرب أرز الإيمان إلى أعلامهم، وهم القوم كل القوم إذا افتخر كل قبيل بأقوامهم:

بيض الوجوه، كريمة أحسابهم ... شم الأنوف، من الطراز الأول[3]

خاتمة

أيها السادة: لقد رأينا فيما سبق أن الفقهاء عنوا عناية فائقة، واهتموا اهتماما خاصا باستعمال ألفاظ كتاب الله العزيز، بل إن عنوان العلم الذي ينتسبون إليه لفظ رباني، ومصطلح قرآني، أمر الله بإتيانه بل والنفير إليه وفي سبيله، قال تعالى {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}[4]

---

[1] – الذخيرة 34/1

[2] – الأشباه والنظائر ص: 13

[3] – الأشباه والنظائر ص: 3

[4] – التوبة: 122

وإن ما ذكرناه من أسماء الكتب والأبواب، وما أوردناه مما اشتملت عليه من مصطلحات وألفاظ، يؤكد أن الفقه لفظا واستنباطا هو في جزء منه من كتاب الله تعالى، بينما هو في جزئه الآخر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد ثانية فإني أقول: إن الفقه ليس حكما هنا أو آخر هناك، وليس جزئية هنا أو جزئية هناك.. وإنما الفقه بيان الحلال والحرام، بيان الحق والباطل، بيان الهدى والضلال، بيان الجائز والممنوع، الفقه هو نصوص الوحي، وقواعد الشريعة، وأصول الملة في صورتها العملية على أرض الواقع، في الفرد والمجتمع، في الأسرة والمؤسسة، في الحكم والإدارة، في البشر والحجر، في البر والبحر، في النوم واليقظة، في الحياة والموت، في العقل والحمق، في الصحة والمرض، في الحضر والسفر، في السر والعلانية، في الأخوة والعداوة، في الكافر والمسلم، في الأخلاق والمعاملات ..... أي إنه لا حركة ولا سكون إلا بفقه، وإنما الفقه علم، والقاعدة أنه لا يجوز لأحد أن يقدم على عمل حتى يعلم حكم الله فيه، وأن الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه لا يعبد بالجهل،

إن الفقه إذًا هو الدين في صورته العملية، لأنه موصول بالسند إلى الكتاب والسنة، مستنبط منهما بقواعد بينة، وأصول جلية، والدين لا يجوز أن يَغيب ولا أن يُغيّب عن أي مجال، فإنه متى ضعف الفقه ضعف الدين، ومتى غاب الفقه غاب الدين، وإن محاربة الفقه اليوم بكل الوسائل والأساليب هي محاربة صريحة للدين، وإن المحاولات اليائسة لاجتثاث الفقه من قلوب الأجيال وطرده من المساجد والمعاهد والجامعات، وتشويهه في الإعلام، مع ما تبدو عليه من قوة وشدة، محاولات فاشلة بإذن الله، إذا صدقت نياتنا، وتضافرت جهودنا.

إن بعض أفراد المجتمع المسلم تجرؤوا على الله سبحانه، فضيعوا فرائضه، وتعدوا حدوده، وانتهكوا حرماته، وتمردوا على شريعته، الواضحة في كتابه، البينة في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، المفصلة في كتب الفقهاء، لِمجموعة من الأسباب في مقدمتها بناء جُدُر عازلة، وأسوار فاصلة بينهم وبين الفقه.

ولذلك فإن الحاجة داعية إلى نهضة علمية ربانية لنشر الفقه في الأمة، وذلك بإعادته إلى المساجد والمعاهد والجامعات والإعلام، وإنفاق الأموال، وبذل الجهود، لتأسيس المؤسسات القادرة على تكوين أجيال من الفقهاء الأمناء الأقوياء، القادرين على إيصال الفقه إلى كل مكان، وإسماعه لكل إنسان، الذين يستطيعون أن يردوا عنه هذه الهجمة، ويدفعوا عنه هذه الحرب.

فإن الأمة لن تنعم بالسعادة، ولن تعود إلى الريادة والسيادة، ولن تكون الأمةَ القائدةَ إلا بعودتها إلى الفقه، وإعادة الفقه إليها، بدل ما هي عليه الآن من تجهيل وتفسيق، وتحكيم لقوانين جلبت الفوضى لأبنائها وبناتها، والصراعَ بين رجالها ونسائها، والشقاءَ لكبارها وصغارها.

والحمد لله رب العالمين.

لائحة المصادر والمراجع مرتبة على حروف المعجم

- القرآن الكريم
- الإبهاج في شرح المنهاج للسبكي دار الكتب العلمية –بيروت 1416هـ - 1995م
- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي دار المعرفة - بيروت
- أخبار مكة لأبي عبد الله الفاكهي المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر: دار خضر – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري لابن نجيم دار الكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية
- البخاري صحيح البخاري تح: محمد زهير، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، 1422هـ
- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لأبي القاسم الأصفهاني تح: محمد مظهر بقا دار المدني، السعودية، الطبعة الأولى، 1406هـ / 1986م
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض اليحصبي تح: مجموعة من العلماء مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى
- التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي مكتبة الإمام الشافعي – الرياض الطبعة: الثالثة، 1408هـ - 1988م
- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر بن عبد البر، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1994 م
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م
- جامع معمر بن راشد ملحق بمصنف عبد الرزاق تح: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ

- الذخيرة لشهاب الدين القرافي تح: جماعة من العلماء، دار الغرب الإسلامي- بيروت الطبعة: الأولى، 1994 م
- روح البيان لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي, دار الفكر - بيروت
- سنن الترمذي تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت 1998 م
- السنن الكبرى للبيهقي تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الثالثة، 1424هـ - 2003م
- شرح النووي على صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، 1392
- شرح تنقيح الفصول لشهاب الدين القرافي تح: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري تح: أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين – بيروت الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م
- صحيح مسلم تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى دار إحياء التراث العربي - بيروت
- مسند أحمد تح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - 1412 هـ
- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر 1399هـ - 1979م.